SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.5 No.1 2024
eISSN 2716-5515 (1-11)

السياق ودوره في التفريق بين الحقيقة والمجاز

The Role of Context in Distinguishing between "Al-Haqiqa" and "Al-Magaz"

Mohd Azizul Rahman Bin Zabidin & Ebrahim Mohammad Ahmad Eldesoky*
Kulliyyah of Usuluddin, Quranic Sciences and Arabic Language
Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University, Malaysia
ebrahim1971@gmail.com

Received: 27 Sept 2023, **Revised:** 18 Apr 2024, **Accepted:** 21 Apr 2024, **Published:** 30 June 2024

To Cite this Article (APA) : Zabidin, M. A. R., & Ahmad Eldesoky, E. M. (2024). السياق ودوره في التفريق بين الحقيقة والمجاز: The Role of Context in Distinguishing between "Al-Haqiqa" and "Al-Magaz". *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *5*(1), 1–11. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol5.1.1.2024

To link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol5.1.1.2024

ملخص

يتناول هذا البحث موضوع السياق ودوره في التفريق بين الحقيقة والمجاز، وتكمن مشكلة البحث في الوقوف على الفرق بين الحقيقة والمجاز في اللغة وبيان المفهوم الحقيقي لكل منهما وتوضيح هذا بالشواهد التطبيقية، وهل اللغة كلها مجاز أو كلها حقيقة أو أنها مزيج من هذا وذاك وكيف يكون عمل السياق في بيان الفرق بين الحقيقة والمجاز. ويهدف هذا البحث إلى بيان المفهوم الصحيح للحقيقة والمجاز والوقوف على الرأي الصحيح في قول ذهب إليه بعض علماء العربية مفاده: أن اللغة حقيقة كلها وأنكر المجاز وزعم أنه غير وارد في القرآن ولا في الكلام، وزعم بعضهم أن اللغة كلها مجاز وأن الحقيقة في اللغة لا وجود لها. ويهدف كذلك إلى بيان أن للسياق بنوعيه الحالي واللغوي دوراً في التفريق بين الحقيقة والمجاز. وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، فقام ببيان مفهوم المجاز والحقيقة ووصف كل منهما وصفا لغويا دقيقا يبين طبيعة كل منهما، أما من حيث التحليل والتطبيق فإنه يركز على الإشارة إلى النماذج اللغوية المتعددة من لغتنا العربية التي توضح توضيحا دقيقا الفرق بين الحقيقة والمجاز ومكان كل منهما وتوضيح كيف يكون للسياق بنوعيه اللغوي دور في التفريق بين الحقيقة والمجاز. هذا، وقد جاء البحث في ثلاثة مباحث تعقبها خاتمة مشتملة على نتائج البحث ثم تعقبها المصادر والمراجع. أما المباحث فجاءت على النحو التالي : المبحث الأول: مفهوم الحقيقة والمجاز وعلامات كل منهما . المبحث الثاني: سياق الموقف ودوره في التفريق بين الحقيقة والمجاز. المبحث الثالث: السياق اللغوي ودوره في التفريق بين الحقيقة والمجاز. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها: 1- أن من علامات الحقيقة تبادر الذهن إلى فهم المعنى والعراء عن الحقيقة. 2- لابد للحكم على تركيب ما أنه مجاز من علاقة و قرينة لغوية أو حالية. 3- للسياق بنوعيه اللغوي والحالي دور كبير في وضع الحد الفاصل بين الحقيقة والمجاز.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة، المجاز، العلاقة، القرينة، السياق اللغوي، سياق الموقف.

Abstract

This research explores the theme of context and its role in distinguishing between "Al-haqiqa" and "Al-magaz" The primary objective is to elucidate the accurate concepts of "Al-haqiqa" and "Al-magaz" and to ascertain the correct stance regarding the assertion made by some Arabic language scholars, claiming that language is entirely literal, rejecting metaphor as nonexistent in the Quran and speech. Conversely, others argue that language is entirely metaphorical, with no room for "Al-haqiqa." Additionally, this study aims to highlight the dual role of context, both current and linguistic, in differentiating between Al-haqiqa" and "Al-magaz". The research adopts a descriptive-analytical approach, meticulously defining the concepts "Al-haqiqa "and "Al-magaz" linguistically. Through analysis and application, the focus shifts to multiple linguistic examples within the Arabic language that precisely illustrate the distinction between "Al-haqiqa and Al-magaz", elucidating the role of both situational and linguistic context in this differentiation. The study is organized into three sections, followed by a conclusion presenting the research findings, and a bibliography. The study is structured into three sections: Section 1 explores the concept of "Al-haqiqa and Al-magaz," along with their respective indicators. Section 2 examines situational context and its role in distinguishing between "Al-haqiqa and Al-magaz". Section 3 focuses on linguistic context and its role in distinguishing between" Al-haqiqa and Al-magaz". The study concludes by presenting research findings and includes a bibliography. The research yields several key findings, including firstly, the mind naturally associates "Al-haqiqa" with understanding the meaning and clarity. Secondly, the evaluation of whether a statement is metaphorical necessitates consideration of linguistic or situational relationships and indicators. Thirdly, both situational and linguistic contexts play a significant role in establishing a clear boundary between "Al-haqiqa and Al-magaz."

Keywords: "Al-haqiqa", "Al-magaz", Relationship, Indicator, Linguistic Context, Situational Context

مفهوم الحقيقة والمجاز وعلامات كل منهما

ثمة أمر مهم ينبغي أن نشير إليه ونقرره في بداية حديثا هذا، وأعنى بذلك ما قرره صاحب كتاب الطراز حين قال: اعلم أن في الناس من زعم أن اللغة حقيقة كلها وأنكر المجاز وزعم أنه غير وارد في القرآن ولا في الكلام، ومنهم من زعم أن اللغة كلها مجاز، وأن الحقيقة غير محققة فيها. وهذان المذهبان لا يخلوان عن فساد، فإنكار الحقيقة في اللغة إفراط، وإنكار المجاز تفريط.. فإنك تقول: رأيت الأسد، وغرضك الرجل الشجاع، وقوله تعالى: (وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ) [يوسف:٨٢] (وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ) [الإسراء:٢٤] إلى غير ذلك.

إن "اللغة — كما يقول الدكتور تمام حسان – أي لغة في العالم – أضيق في مجالها اللفظي من حقل الأفكار التي ترد على ذهن المتكلمين بها، ومن الصور والظلال التي ترد على أخيلتهم، ومن هنا تصبح المعاني العرفية (أى الحقيقية) للألفاظ قاصرة على الوفاء بمطالب التعبير اللغوي، وفي مجال الأفكار المجردة والصور والظلال بوجه خاص. ومن هنا يصبح التعبير اللغوي بحاجة إلى جواز الحقيقة العرفية إلى استعمال آخر يسمى المجاز. وإذا نظرنا إلى المعاني المتعددة للفظ الواحد في أحد المعاجم، فسنجد أحدها يفهم من اللفظ بطريق الحقيقة العرفية، ونجد بقيتها مجازات عن الحقيقة.

إن كان الأمر كذلك فهل يكون للسياق بنوعيه اللغوي والحالي أثر في بيان ما إذا كان المراد من تركيب ما الحقيقة أو المجاز؟ لعله يكفينا في هذا المقام لتعريف الحقيقة والمجاز ما ذكره أبو الفتح ابن جني–رحمه الله–حين قال:" الحقيقة ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك، وإنما يقع المجاز ويُعدَل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عَدِمَ هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة، فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الفرس: هو بحر (مسلم بن الحجاج، 1990). لكن لا يُفضي إلى ذلك أي إلى كون هذا التركيب مجازا إلا بقرينة تُسقط الشبهة، وذلك كان يقول الشاعر:

علوتَ مطا جوادك يومَ يومٍ وقد ثُمِدَ الجيادُ فكان بحرًا .

(ابن جني، الخصائص،1986، 2/هامش444) وكأن يقول الساجع: فرسُك هذا إذا سما بغرّته كان فجرا، وإذا جرى إلى غايته كان بحراً، ونحو ذلك ولو عَرِيَ الكلام من دليل يوضح الحال لم يقع عليه بحرٌ لما فيه من التعجرف في المقال من غير إيضاح ولا بيان. ألا ترى أن لو قال: رأيتُ بحرًا وهو يريد الفرس لم يُعلَم بذلك غرضُه، فلم يَجُزْ قوله؛ لأنه إلباس وإلغاز على الناس (ابن جني أبو الفتح عثمان ، 1986)

إذا تأملنا كلام أبي الفتح بن جنى السابق وجدنا به ما يدل على أننا لا نستطيع الحكم على تركيب ما بأنه مجاز إلا إذا وُجِدت بالسياق قرينة – لغوية كانت أو حالية – تدل على أن المراد بالتركيب المجاز، وترفع في الوقت نفسه شبهة أن يكون المراد بالتركيب الحقيقة. ألا نراه يقول: "لكن لا يفضي إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبهة"، ويقول:" ولو عَرِيَ الكلام من دليل يوضح الحال لم يقع عليه بحر".

يتفق مع هذا ما ذكره السيوطي– رحمه الله – حين قال:" من علامات الحقيقة تبادُر الذهن إلى فهم المعنى، والعراء عن القرينة، أي إذا سمعنا أهل اللغة يعبرون عن معنى واحد بعبارتين، ويستعملون إحداهما بقرينة دون الأخرى، فنعرف أن اللفظ حقيقة في المستعملة بدون قرينة (السيوطي، 1986).

ولم لا يكون الأمر كذلك ألا يُعرَّف المجاز بأنه: "الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع" (السكاكي، 1983). وهذه القرينة التي تدل على أن التركيب مجازي قد تكون: مفارقة معجمية بين لفظين مفردين ومفارقة سياقية بين معنيين. ومن خلال هذه المفارقة يظهر أن المقصود معنىً آخر غير المعنى الحقيقي. فإن سمعنا من يقول: رأيت أسدًا في الحمام علمنا أن المراد بهذا التركيب المجاز دون الحقيقة، وأن قائل هذا التركيب إنما استعار لفظ. أسد للرجل الشجاع، وأتى بالقرينة الدالة على ذلك وهي قوله: في الحمام (الصنعاني محمد بن إسماعيل، 1986).

وإذا قلنا – مثلاً كما يقول الدكتور محمد حماسة –: " طار القلب " و"طار الطائر" علمنا أن التعبير الأول مجازى والثاني حقيقي، وتعلم ذلك بإجراء مشابهة بين (القلب) و (الطائر) من حيث إمكان أن يطير كلٌّ منهما، الطائر على جهة الحقيقة ، والقلب على جهة التخيل والتصور؛ لأن هناك موانع عضوية وعقلية تعوق القلب عن الطيران . هذه الموانع هي التي تجعل المتكلم ينظر إلى هذا التركيب على أنه مجازيٌّ لا حقيقي، وما يمنع من إيراد المعنى الأصلي هو القرائن والسياق الخاص" (محمد حماسة عبد اللطيف، 2000). يؤكد هذا الذي ذهبنا إليه من أنه لا بد للحكم على تركيب ما بأنه مجاز من قرينة لغوية أو حالية – يؤكد هذا قولُهم: "واعلم أنه لا بد لكل مجاز من علاقة وقرينة، فالعلاقة هي المجوّزة للاستعمال، والقرينة هي الموجبة للحمل عليه صارفةٌ للفظ عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي" (الصنعاني محمد بن إسماعيل، 1986)."

أضف إلى ذلك ما حكاه السيوطي – رحمه الله – عن القاضي أبوبكر من أن تقوية الكلام بالتأكيد من علامات الحقيقة دون المجاز؛ لأن أهل اللغة لا يقوون المجاز بالتأكيد؛ فلا يقولون: أراد الجدار إرادة، ولا قالت الشمس قولا، قال تعالى: (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[النساء/164]؛ فتأكيده بالمصدر يفيد الحقيقة، وأنه أسمعه كلامه، وكلمه بنفسه."

هذا على الرغم من علمنا بقول أبي الفتح بن جني: "ويدلك على لحاق المجاز بالحقيقة عندهم وسلوكه طريقته في أنفسهم أن العرب قد وكّدته كما وكّدت الحقيقة . وذلك قول الفرزدق:

عشيَّة سال المربدان كلاهما سحابةَ موتٍ بالسيوف الصَّوارمِ (الفرزدق، 1987)

وإنما هو مربد واحد، فثناه مجازًا لما يتصل به من مجاورة، ثم إنه مع ذلك وكده وإن كان مجازًا ، وقد يجوز أن يكون سمّى كل واحد من جانبيه مِرْبدًا . وقال الآخر:

إذا البيضة الصماء عضت صفيحةٌ بحر بائها صاحتْ صياحًا وصلَّتِ

فأكد " صاحت" وهو مجاز بقوله صياحًا (ابن جني أبو الفتح عثمان، 1986) أقول: إن تقوية الكلام بالتأكيد من علامات الحقيقة دون المجاز مؤيدًا بذلك ما حكاه السيوطي – رحمه الله – عن القاضي أبي بكر. هذا على الرغم من قول ابن جنى السابق إذ إن التأكيد الذي تعنيه هنا ليس المقصود به هذا النوع من التأكيد الذى جاء في بيت الفرزدق السابق، بل المقصود هو المصدر المؤكد لفعله نحو سال المربدان سيلانًا أو سيولة، أما لفظ"كلاهما" فتوكيد للمربدين: وأما قول الشاعر:

إذا البيضة الصماء عضت صفيحةٌ بحر بائها صاحت صياحًا وصلَّت

فيمكن اعتباره مؤشراً أسلوبيّا. يقول ابن جنى مستدلاً على أن للتأكيد دورا رئيسًا في التفريق بين الحقيقة والمجاز:" ألا تراك قد تقول: قطع الأمير اللص ويكون القطع له بأمره لا بيده، فإذا قلتَ قطع الأمير نفسُه اللصّ رفعت المجاز من جهة الفعل وصرتَ إلى الحقيقة، لكن يبقى عليك التجوز من مكان آخر وهو قولك: اللص، وإنما لعله قطع

يده أو رجله، فإذا احتطت قلت: قطع الأمير نفسه يد اللص أو رجله. وكذلك جاء الجيش أجمع، ولولا أنه قد كان يمكن أن يكون إنما جاء بعضه – وإن أطلقتَ المجيء على جميعه – لَما كان لقولك أجمع معنى".

وأنا وإن كنت أتفق مع عالم العربية الأول في عصره ابن جني في أن للتأكيد دورا رئيسًا في التفريق بين الحقيقة والمجاز إلا أنني أؤكد مرة ثانية أنه ليس هذا النوع من التأكيد الذي مثّل له ابن جني بقوله: . ألا تراك قد تقول: قطع الأمير اللِّصَّ ويكون القطع له بأمره لا بيده، فإذا قلت قطع الأمير نفسه اللِّصَّ رفعتَ المجاز من جهة الفعل وصرت إلى الحقيقة؛ إذ إن قولنا: "قطع الأمير اللص "، وإن كان مجازا من جهة إسناد القطع إلى الأمير إلا أن قولنا: قطع الأمير نفسه اللص، لا يرفع شبهة أن يكون القطع ما زال مجازيا؛ لأن المجاز إن وجد في هذا التركيب (قطع الأمير اللص) – وهو موجود – فهو في " قطع " لا في الأمير. من أجل ذلك فإننا إذا قلنا: قطع الأمير اللص، وكان المجاز في هذا التركيب آتيا من جهة إسناد القطع إلى الأمير، وأردنا أن نرفع احتمال أن يكون هذا التركيب مجازيًا – أقول: إن أردنا ذلك قلنا: قطع الأمير اللص قطعًا، وبذلك يكون القطع حقيقة لا مجاز فيه، وبه كذلك تتأكد أن إسناد القطع إلى الأمير قد جاء على جهة الحقيقة، وإن بقي – كما يقول أبو الفتح – التجوز من مكان آخر وهو قولنا: اللص، وإنما لعله قطع يده أو رجله.

أضف إلى ذلك – تفريقا بين الحقيقة والمجاز – قولهم: واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل بناء على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه، فانظر: فإن كان لا مزيّة لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يُحمَل إلا على طريق الحقيقة؛ لأنها هي الأصل والمجاز هو الفرع، ولا يُعْدَل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة .وكذا قولهم: إن اللفظ الذى لا يفيد إلا مع القرينة هو المجاز بعينه. كلُّ أولئك إشارات يمكن من خلالها فهمُ ما إذا كان المراد من تركيب ما الحقيقة أو المجاز .

سياق الموقف ودوره في التفريق بين الحقيقة والمجاز

فإذا نظرنا إلى عبارة "فلان كثير رماد القدر"، وتساءلنا كما تساءل الدكتور عز الدين إسماعيل:" ما الذي يحدد التفسير الصحيح لمغزى كثرة الرماد ؟" . وجدنا الإجابة – كما يقول الدكتور عز الدين في قول عبد القاهر الجرجاني نفسه: أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ، ألا ترى أنك لما نظرتَ إلى قولهم:(هو كثير رماد القدر)، وعرفت منه أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة ، لم تعرف ذلك من اللفظ ، ولكنّك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلتَ : إنه كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد، فليس إلا أنهم أرادوا أن يَدُلُّوا بكثرة الرماد على أنه تُنصبُ له القدور الكثيرة، ويُطْبَخُ فيها للقِرَى والضيافة .

وذلك لأنه إذا كثر الطبخ في القدور كثر إحراق الخطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة وفي هذا النص – والكلام للدكتور عز الدين إسماعيل والأمر كما قال – إشارة واضحة إلى الكيفية التي تتم بها عملية استنباط معنى الكرم من تلك العبارة. فالمخاطَب – وقد عَرَف أن العبارة قد قيلت في سياق المدح – لا يجد لمعاني مفرداتها مجتمعة ما يأتلف وهذا السياق؛ ومن ثمَّ يجد نفسه مُطالبا – لكي يحقق معنى المدح الذي يقرره السياق – بأن يُعمل عقله في استخراج الدلالة الثانية للدلالة المباشرة للعبارة، وهناك يدرك أن ذلك الممدوح كثير القِرى والضيافة. وعلى هذا النحو يصبح السياق موجهًا لعملية التفكير والاستنباط، متضافرًا في الوقت نفسه مع الخبرة بمعطيات الأعراف الاجتماعية الخاصة أو السياق الخاص، إن سياق الموقف – والكلام أيضًا مازال للدكتور عز الدين إسماعيل – إذن الذي سيقود المخاطب إلى رفض المعنى الأول المباشر للعبارة (لأنه في سياق المدح لن تكون لكثرة رماد القِدْرِ في حد ذاتها أي معنى) ، ثم إلى استنباط المعنى الثاني لهذا المعنى (الكرم الذي يتفق وسياق المدح (عز الدين إسماعيل، 1987).

أضف إلى ذلك: أن معرفتنا – كما يقول الدكتور عز الدين أيضًا – بسياق الموقف الذي قيلت فيه تلك العبارة (سياق المدح) لا تفرض لها أن يكون معناها الثاني بالضرورة هو الكرم؛ فقد تعنى أن الشخص الممدوح يعيش في أبهة نسبية من الحياة) بالقياس إلى البيئة البدوية) ؛ فهو لا يأكل القديد – مثلاً – أو التمر، أو يشرب اللبن طعامًا له ولأهله، بل يأكل الطعام المطهوَّ. وستعنى كثرة الرماد عندئذ أن هذا الممدوح وأهله لا يأكلون الطعام المطبوخ على قلة، في المواسم والمناسبات مثلاً، بل هو طعامهم على الدوام. ومن ثم تتلاحق عمليات الطهو في القدور، حيث يحرق تحتها حطب كثير، يتخلف عنه رماد كثير، وهذا الاستنباط الذي لم يقله الجرجاني أو غيره ما زال يعتمد – كما هو واضحٌ – على سياق الموقف (المدح) في إطار السياق الحضاري البدوي؛ فهو ليس غريبا على بيئة كان الرجل فيها يمدح لمجرد أنه يطبخ الثريد لأهله (هشام الذي هشم الثريد لأهله) لا للضيوف (عز الدين إسماعيل، 1987).

هذا، وقد انتهى الدكتور عز الدين إسماعيل – ونحن معه – إلى أن المعنى الثاني العبارة، كثير رماد القِدر، أو ما يماثلها . إنما هو قابل للتعدد، بل قابل للتغير أو التراجع أو الإهمال والنسيان مع مضي الزمن. إن عبارة مثل ."كثير رماد القدر"، عندما يستمع إليها المخاطب من سكان المدن اليوم، ممن لم يلقَّنوا بالدرس معناها الثاني، لن يكون قادرًا – في الغالب – على استنباط معناها الثاني، لا لضعف في كفاءته اللغوية (واستنباط المعنى الثاني يعتمد بلا شك على ضرب من الكفاءة اللغوية)، بل لأن معيار التأويل (أعني السياق الحضاري) قد تراجع مع مضى الزمن ، ولم يعد يشكِّل جانبًا من تجربته اللغوية (عز الدين إسماعيل، 1987).

هذا، فإن أردنا أن نعلم كيف دل السياق على أن هذه الآيات السالفة الذكر هي تركيبات مجازية وجدنا بيان ذلك في قول صاحب كتاب الطراز: واعلم أن هذه المجازات المركبة التي ذكرناها ومثلناها بقوله تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾[الزلزلة /2] ، وبقوله : ﴿ مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ ﴾ [البقرة/61]، وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) [يونس/24] ، وغير ذلك من الأمثلة فإنها كلها مجازات لغوية استعملت في غير موضوعاتها الأصلية، فلأجل هذا حكمنا عليها بكونها لغوية. وبيانه هو أن صيغة أنبتَ ، وأخرج، وأخذ . وضعت في أصل اللغة بإزاء صدور الخروج والنبات والأخذ من القادر الفاعل، فإذا استعملت في صدورها من الأرض فقد استعملت الصيغة في غير موضوعها ، فلا حرج حكمنا بكونها مجازات لغوية .

السياق اللغوي ودوره في التفريق بين الحقيقة والمجاز

هذا، وإذا نظرنا في كتاب الله تعالى وجدنا أن من التراكيب المجازية التي يدل سياقها على كونها مجازا: قوله تعالى: ﴿ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) [البقرة/61] يدلنا على ذلك المفارقة المعجمية التي نجدها قائمة بين "اشتروا" وبين، "الضلالة"، و الهدى » ، فالضلالة ليست سلعة تشترى، ونعلم بهذه القرينة أن "اشتروا" لا يراد به معناه الأصلي، وإنما أريد به معنى آخر مجازيٌّ هو معنى "استبدلوا" أو "اختاروا" ، ومعنى ذلك أنه عندما تقوم المفارقات بين اللفظ وبيئته في التركيب يُعلم بها أن التركيب غير حقيقي (تمام حسان، 1985).وإذا قلت مثلاً:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيتَ كل تميمة لا تنفعُ (أبو ذؤيب الهذلي، ديوان الهذليين،1995)

فقد حذفت الأسد – كما يقول الدكتور تمام حسان – وهو صاحب الأظفار الذي جعلته مشبها به، ونسبتَ أظفاره إلى المنيّة التي لا أظفار لها على الحقيقة، فقامت المفارقة المعجمية بين المنيّة والأظفار قرينة على أن المراد معنى مجازى لا حقيقي. وإذا قرأت تحت مجاز الحذف قوله تعالى: (وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا) [يوسف/82] علمتَ بقرينة المفارقة المعجمية بين "اسال" و "القرية" أن المعنى مجازى لا حقيقي ، وعلمتَ أن هناك محذوفا يدل على من يصح أن يتجه إليه السؤال ككلمة ، أهل ، أو سكان .

ومن ذلك قوله تعالى : (واشتغل الرأس شيبا)، فهو تركيب مجازي يدلنا على ذلك ما بين "اشتعل" و" الرأس" من مفارقة معجمية تأبى أن يكون . "اشتعل" في هذا التركيب مستعملاً في معناه الأصلي، وغير خافٍ أن المفارقة المعجمية هذه هي قرينة لفظية – كما قلنا – ولذا تعدُّ جزءًا من السياق اللغوي .ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ)[الكهف/99] ، "والمفارقة المعجمية هنا ظاهرة لما بين "يموج " و" بعضهم" إذ إن "الموَجان حركة الماء في الأصل ، فاستعير للقلق والفشل والاضطراب في الأمر.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)[البقرة،245] " فلا يمكن بحال من الأحوال أن يُفهم القرض في هذا التركيب على أنه قرض حقيقي أي ذلك القرض الذي هو "إسلاف المال ونحوه بنيّة إرجاع مثله"، ولكن الذي يقبله العقل، وتشير إليه قرينة السياق هو أن القرض في هذا التركيب إنما "يطلق مجازًا على البذل لأجل الجزاء، فيشمل بهذا المعنى بذل النفس والجسم رجاء الثواب." ويدلنا على ضرورة فهم معنى "يقرض" في هذا التركيب على جهة المجاز كونُ الله هو الآخذ للقرض .

فإذا نظرنا إلى قوله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ) [القصص/4] وجدنا أن قوله : (يذبح أبناءهم) تركيب مجازي ؛ إذ إنه " نسب التذبيح الذي هو فعل الجيش إلى فرعون؛ لأنه سبب آمر.(الخطيب القزويني، شروح التلخيص، د.ت 252/1) ومثل ذلك قوله تعالى: (يا هامان ابن لي صَرْحًا)[غافر/36] ، فإن فيه إسناد الأمر بالبناء إلى هامان مجازا لكونه سببا آمرًا ، والأمر في الحقيقة للعَمَلَة ؛ لأن المأمور في القصد هو الذي يصدر منه المأمور به "(ابن يعقوب المغربي، شروح التلخيص، د.ت،255/1) ومثل ذلك قوله تعالى: (أصلاتك تأمرك أن نترك مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)[هود/87]. إذ إن المراد: أيأمرك ربك في صلاتك.

هذا، وإذا كان حد المجاز ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثاني. فإنَّ" أتي" في قوله تعالى :(أتى أمر الله فلا تستعجلوه)[النحل/1] بمعنى اقترب ، وهو معنى مجازي؛ لأنه "أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب، والعلاقة بينهما (أي بين "أتى" و "اقترب") هي القرب ، والقرينة هي قوله تعالى : "فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ" . أضف إلى ذلك من التركيبات المجازية غير اللغوية قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ . رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُسْتَكْبِرُونَ) [المنافقون/5] ، فـ " قوله : ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) بمعنى أعرضوا ؛ لأن ذلك إنما يكون عند الإعراض دليلاً عليه ومن ثمَّ فهو كناية عنه، ويؤكد هذا المعنى من سياق النص قوله : (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ).

ومن المواضع التي يدل فيها السياق اللغوي على أن المراد من التركيب المجاز ما ذكره القزويني – رحمه الله – حين فسر قوله تعالى : (وكم من قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فجاءها بَأْسُنَا) [الأعراف/4] بقوله : (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أي : أردنا إهلاكها ، بقرينة (فجاءها بأسنا) ، وكذا قوله : ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أهلكناها) [الأنبياء/6] بقرينة " أفهم يؤمنون ".

ومن ذلك أيضا لفظ الغائط، في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ) إلى أن قال : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لا مَستُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُوا ماء فتيمموا) [المائدة/6] فهذا حديث –كما

يشير السياق اللغوي للآية – عما يجب أن يفعله المسلم إذا أراد القيام إلى الصلاة، فإن كان قد أتى من" الغائط" ، فأراد الصلاة ، فلم يجد ماء، فعليه أن يتيمم . وعلى ذلك فالمراد بـ "الغائط": " قضاء الحاجة دون المطمئن من الأرض" (ابن الأثير، 1990). ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ)[النحل/98] أي: أردت القراءة. بقرينة الفاء. " ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) [المائدة/6] أردتم القيام ؛ بقرينة الفاء في فاغسلوا .

أضف إلى ذلك ما ذكره الشافعي – رحمه الله – في باب "الصنف الذي يبين سياقه معناه"، يقول : قال الله تبارك وتعالى :(واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تأتيهمْ حِيتَانهمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ يَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[الأعراف /163]. فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة) البحرَ، فلما قال: (إِذْ يَعْدُون في السبت) الآية دل على أنه إنما أراد أهل القرية ؟ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا في غيره، وأنه أراد أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون". ولعل اتكاء الشافعي في كلامه السابق على السياق اللغوي لإيضاح أن المراد بالقرية أهلها لا القرية ذاتها واضح، يدلنا على ذلك قوله : فلما قال : ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السبت) الآية دل على أنه إنما أراد أهل القرية. ومنه كذلك قوله تعالى : (وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ)[الأنبياء/11-12]، وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها ، فذكر قصم القرية ، فلما ذكر أنها ظالمة ، بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم ، ولما ذكر القوم المنشئين بعدها، وذكر إحساسهم البأس عند القصم أحاط العلم أنه إنما أحس البأس من يعرف البأس من الآدميين. ولا يخفى هنا اتكاء الشافعي – رحمه الله – على السياق اللغوي لإيضاح أن المراد بالقرية أهلها، يظهر ذلك في قوله :" فلما ذكر أنها ظالمة بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم.

ثمة أمر مهم في هذين الموضعين السابقين اللذين ذكرهما الشافعي – ينبغي الإشارة إليه؛ ذلك هو أن المجاز في الموضعين كليهما مجاز لغويٌ . ولعلنا بعد استشهادنا بهذه التركيبات القرآنية السابقة واستدلالنا بها على ما أردنا الاستدلال عليه – لعلنا بعد ذلك نستطيع أن نقول: إن قرينة السياق لغوية كانت أو حالية هي التي يحكم بواسطتها على ما إذا كان المراد من تركيب ما هو الحقيقة أو المجاز، وأن" المجازات لا تنفك عن القرائن الحالية والمقالية".

الخاتمة والنتائج

دلت الشواهد التطبيقية المتعددة على أن قرينة السياق لغوية كانت أو حالية هي التي يحكم بواسطتها على ما إذا كان المراد من تركيب ما هو الحقيقة أو المجاز. فللسياق الثقافي دور كبير في التمييز بين الحقيقة والحجاز، وهو أمر وثيق الصلة بإجلاء المعاني، فالوقوف على ثقافة المتكلم ومعتقداته يبين تلك المسألة بوضوح. تقوم المفارقات بين

اللفظ وبيئته في التركيب دليلا على أن التركيب غير حقيقي، فالمفارقة المعجمية مثلا قرينة لفظية تعدُّ جزءًا من السياق اللغوي وكذا المفارقة السياقية بين معنيين وهما آليتان من آليات السياق اللغوي التي يحكم بواسطتها على ما إذا كان المراد من تركيب ما هو الحقيقة أو المجاز. الحقيقة ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. وحد المجاز ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثاني وإنما يقع المجاز ويُعدَل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عَدِمَ هذه الأوصاف كانت الحقيقة.

شكر وتقدير

يزجي المؤلفون خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في هذه الدراسة إثراء لساحة البحث العلمي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر .

إقرار المصالح

يؤكد المؤلفون عدم وجود أي تضارب في المصالح.

المصادر والمراجع

ابن الأثير. (1990). المثل السائر (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد). المكتبة العصرية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1986). الخصائص (تحقيق محمد علي النجار). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أبو ذؤيب الهذلي. (1995). ديوان الهذليين (ط. 2). مطبعة الكتب المصرية.

الأعلم الشنتمري. (1992). شرح حماسة أبي تمام (تحقيق علي المفضل حمودان، ط. 1). دار الفكر المعاصر.

تمام حسان. (1971). اللغة العربية معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تمام حسان. (1982). الأصول. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تمام حسان. (1993). البيان في روائع القرآن (ط. 1). عالم الكتب.

السكاكي. (1983). مفتاح العلوم (شرح وتعليق نعيم زرزور، ط. 1). دار الكتب العلمية.

السيوطي. (1986). المزهر في علوم اللغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزملاؤه). المكتبة العصرية.

الشافعي، محمد بن إدريس. (1938). الرسالة (تحقيق أحمد محمد شاكر). مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الشافعي، محمد بن إدريس. (د.ت). الرسالة (تحقيق أحمد محمد شاكر). المكتبة العلمية.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل. (1986). أصول الفقه (تحقيق حسن أحمد السباعي & حسن محمد مقبولي). مؤسسة الرسالة.

الطاهر بن عاشور. (د.ت). التحرير والتنوير. الدار الجماهيرية للنشر، الدار التونسية.

طاهر سليمان حمودة. (د.ت). دراسة المعنى عند الأصوليين. الدار الجامعية للنشر.

عبد القاهر الجرجاني. (1991). أسرار البلاغة (تحقيق محمود محمد شاكر، ط. 1). دار المدني.

عبد القاهر الجرجاني. (1992). دلائل الإعجاز (تحقيق محمود محمد شاكر). دار المدني.

عز الدين إسماعيل. (1987). قراء في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني.

الفرزدق. (1987). ديوان الفرزدق (تحقيق علي فاغور، ط. 1). دار الكتب العلمية.

محمد حماسة عبد اللطيف. (2000). النحو والدلالة. دار الشروق.

مسلم بن الحجاج. (1990). صحيح مسلم (ط. 1). دار الكتب العلمية.

يحيى بن حمزة العلوي. (2002). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ط. 1). المكتبة العصرية.